3. اتجاهات الدراسات الثقافية

***الاتجاه البريطاني:**

يتضمن جيل التأسيس للدراسات الثقافية، وقد ارتبط بالماركسية واستفاد من أعمال الفيلسوف الإيطالي **أنطونيو غرامشي** والفيلسوف الفرنسي **لويس ألتوسير**. حيث تبنى الاتجاه البريطاني أفكار اليسار الجديد ونقد نظرية البنية التحتية/ الفوقية الماركسية والتي تدعي أن المجتمع يتكون من بنيتين أحدهما تحتية وتتمثل في الاقتصاد وطرق الإنتاج، والثانية فوقية وتمثل الثقافة والأيديولوجيا السائدة في المجتمع (القيم الاجتماعية، الصور النمطية ...الخ)، بحيث تؤثر البنية التحتية أي الاقتصاد في البنية الفوقية وتحدد شكلها وطبيعتها، بعبارة أخرى، الاقتصاد يؤثر في البناء الثقافي والأيديولوجي للمجتمع.

غير أن **ويليامز** برهن أن التغيرات في البنى الاقتصادية لا يمكن أن تفسر دائما التغيرات في المحتوى والتنظيم الثقافي، وأن البنيتين الفوقية والتحتية تتفاعلان باستمرار مع بعضهما البعض وتتحولان باستمرار ولا يمكن فصلهما.

خلال السبعينيات من القرن 20 تحول اهتمام **ويليامز** نحو أعمال **غرامشي** وخاصة مفهوم الهيمنة لديه، اذ يرى غرامشي أن الهيمنة تساعد على تفسير انتشار الصراع الطبقي بالرغم من التوزيع غير المتكافئ للقوة ورأس المال، حيث يرى أن الفقراء قبلوا جزئيا باستبدادهم لأنهم يشاطرون الأغنياء بعض ميولهم الثقافية، حيث يمكن أن تتشكل التحالفات أو التكتلات العابرة للطبقات بشأن مصالح خاصة في ظروف أو حالات معينة، وأهم "جبهة ثقافية" تمتلك هذه السيطرة هي "القومية الشعبية".

ويرى غرامشي ان الهيمنة ليست سيطرة بالقوة بل قيادة فكرية وأخلاقية. تتم عبر بناء توافق اجتماعي حول قيم الطبقة المهيمنة عبر المدرسة، الدين، الاعلام، والثقافة الشعبية.

خلال هذه المرحلة كانت الدراسات الثقافية تتعامل مع الثقافة باعتبارها ساحة الصراع الأساسية، وركزت على البنية الفوقية كمحدد لحركة التاريخ وليس البنية التحتية.

شهدت فترة السبعينيات كذلك تصارع الفكر الغرامشي مع تيار وأسلوب آخر للتحليل الاجتماعي الماركسي هو البنيوية التي قدمت وصفا للمجتمع باعتباره جمع من المؤسسات المستقلة نسبيا،

أهمها النظام التعليمي، الذي ساهم في انتاج أشكال من المعرفة والقيمة التي جرى تنظيمها بحيث تديم علاقات الإنتاج الرأسمالية.

في فترة الثمانينيات من القرن 20، عمل ستيوارت هال على نموذج يرى المجتمع باعتباره تعددي لامركزي، تصبح فيه المجالات الاجتماعية والثقافية المختلفة في تفاعل مستمر ومتغير، دون أن يقرر أحدها المجالات الأخرى.

ومنه بدأ التحول نحو دراسة التعدد الهوياتي للفرد الواحد، فالأفراد يحملون غالبا هويات مختلفة ومتحولة بدلا من هوية وحيدة ثابتة. كما أن الافراد يحملون أيديولوجيات اجتماعية معينة، وعليه بدأت الدراسات الثقافية تدرس الوضع الثقافي انطلاقا من "سياسة التمثيل" أي دراسة الطريقة التي يتم بها تمثيل المجموعات الاجتماعية، خاصة عبر وسائل الاعلام، والمكاسب السياسية التي يتم جنيها عبر نقد مثل تلك التمثيلات.

الى جانب بحث كيف يمكن لهذه الطرق المعتمدة في التمثيل أو "السياسة التمثيلية" أن تحرم هويات ومصالح معينة من امتلاك القوة في المجتمع خصوصا الأقليات.

في مرحلة لاحقة تحولت الدراسات الثقافية البريطانية نحو تطبيق الإثنوغرافيا بمعنى التحول من دراسة التمثيلات أو المؤسسات الى تحليل كيف يستخدم الأفراد والمجموعات الثقافة ويفهمونها. في البداية ركزت الدراسات الثقافية البريطانية على دراسة الكيفية التي يقبل أو يرفض من خلالها الجمهور الذي ينتمي الى طبقة أو عرقية مختلفة، التوجه السياسي المعبر عنه والذي تبنى عليه البرامج الإخبارية والتلفزيونية.

ثم تحولت نحو دراسة أثر التلفزيون والقراءة والموسيقى ....الخ في الحياة اليومية للجمهور ولفتت الانتباه الى المتع، والتقييمات، والالتزامات، والروابط والقيود التي تتضمنها الحياة الثقافية.

عموما اهتم الاتجاه البريطاني في الدراسات الثقافية بـ:

*توضيح ظاهرة الهيمنة من خلال الطريقة التي تقدم بها العلاقات الاجتماعية والمشكلات السياسية.

*السيطرة لا ترتبط بالثروة (السلطة ≠ المال)

*يرى أن الهيمنة هي السائدة في العلاقة بين من يملكون ومن لا يملكون.

*وسائل الاعلام تدعم الهيمنة.

*توضيح الطريقة التي تعرض بها الطبقة المسيطرة فكرها على حساب المجتمع.

*ترى أن وسائل الاعلام عبارة عن سوق يتم فيه الصراع لتشكيل الأفكار الثقافية حول الحقائق الاجتماعية ويرسم الحدود لها.

***مدرسة فرانكفورت:**

تمثل الاتجاه الألماني في الدراسات الثقافية. يهتم رواد مدرسة فرانكفورت على رأسهم ماكس هور خيمر، وتيودور أدورنو، يهتمون بحقوق الأفراد في الارتقاء بأذواقهم وخبراتهم ومعارفهم من أجل بناء أصلح للبشرية. ويرون أن ما تقدمه وسائل الاعلام يعد تشويها للثقافة الراقية، ومجرد أداة لإلهاء الناس عن البحث عن الحقيقة.

طرح الاتجاه الألماني فكرة الصناعة الثقافية التي تشير الى انتاج الثقافة في إطار الخصائص السلعية، فإنتاج الثقافة بات متوقفا على قيمتها التبادلية في السوق وليس قيمتها في الاستخدام. أي ان تسويق الثقافة يستهدف أساسا تحقيق الربح المادي.

ترى مدرسة فرانكفورت أن الصناعة الثقافية تعمل في اتجاه ترسيخ الأفكار الخاصة بالطبقة المالكة أو المهيمنة على المجتمع.

لذلك انتقد هذا الاتجاه بشكل كبير الثقافة الجماهيرية المسوقة عبر وسائل الاعلام، واعتبرها غير صالحة كأداة للارتقاء بالذوق العام لأنها ليست ابداعا فرديا، وانما سلعة مصنعة بشكل جماهيري، تسعى الى تحقيق الرضا اللحظي أو المتعة الوقتية التي تخدر الناس وتجعلهم يهربون من واقعهم ولا يدركونه.

***الاتجاه الأمريكي:**

كيَف رواد هذا الاتجاه الدراسات الثقافية بما يتلاءم والواقع الأمريكي. لكنه في ذات الوقت كان أقل هوسا بأمريكا من هوس الاتجاه البريطاني ببريطانيا. فهو اتجاه براغماتي، ويعد **جون ديوي** من أهم مؤسسيه.

تميز الاتجاه الأمريكي بـ:

*دراسة العلاقة بين الثقافة والمعيشة والعدالة الاجتماعية.

*خلت المناقشات التي أثارتها الدراسات الثقافية الامريكية من مسائل عديدة كالعدل السياسي، فقد قامت الليبرالية بتنقية الدراسات الثقافية من الأفكار الماركسية المتشددة.

*لم تركز على قضايا السلطة والسياسة والطبقية.

*ارتبطت ارتباطا نمطيا بالباحثين الذين اهتموا بدراسة الأقليات أي التعددية الثقافية وتحليل العرق والقوة.

*تناولت مواضيع مرتبطة بالعرق، الهوية، الأقليات، النسوية ...الخ.

*طبقت المنهج الإثنوغرافي في دراسة تأثيرات وسائل الاعلام.

من حيث الموضوع يمكن القول أن الدراسات الثقافية الأمريكية ركزت أساسا على أربع مواضيع مهمة:

**النقد ما بعد الاستعماري للتصورات الغربية للثقافات غير الغربية، بمعنى كيف يصور المستعمِر ثقافة الشعوب المستعمَرة، وكيف ينظر الشعب المستعمَر الى ثقافة المستعمِر. ويعد إدوارد سعيد أول من مهد الطريق نحو هذه المواضيع من خلال كتابه "الاستشراق" سنة 1978م.

** الاهتمام بالتابعين أي الضعفاء والمغلوب على أمرهم عبر تحليل كيف يتحدد من هم التابعون بناءا على متغيرات محددة كالجنوسة والعرق والآخرية الثقافية والطبقة.

**تحليل خطاب الأقلية أي الانتباه الى أصوات الآخرين الخاضعين.

**اعتناق الهجنة أي الهوية الهجينة، فحسب الاتجاه الأمريكي لا يملك الأفراد والجماعات هوية واحدة بل لديهم عدة هويات. فالهوية لا تعتبر سمة مشتركة بين الجماعات بل ينظر اليها كممارسة يتغير معناها وأثرها باستمرار مع تغير سياقها.

الاتجاه الفرنسي:

ركزت الدراسات الثقافية الفرنسية على مشكلة الهوية الفرنسية في أعقاب سلسلة الاحداث التاريخية المتتالية كهزيمتي حرب الفيتنام والجزائر، وتهديدات التفكك الثقافي بسبب ثورة بعض سكان مقاطعاتها، وتحول فرنسا الى دولة استقطاب للمهاجرين.

ارتكز الاتجاه الفرنسي على أعمال ميشال فوكو، رولان بارت، وبيير بورديو.

***الاتجاه الكندي:**

حاولت الدراسات الثقافية الكندية الاستفادة مما طوره التيار البريطاني لكن مع تكييفه مع واقع كندا كدولة متعددة العرقيات والثقافات.

ركز أصحاب الدراسات الثقافية في كندا على دراسة وفهم التجربة الكندية في استهلاك المنتجات الثقافية الأمريكية، وكيفية مقاومتها من أجل الحفاظ على الهوية المحلية.